

مُقَدِّمَةٌ صَاحِبِ جَائِزَةِ نُوبِلَ فِي الطَّبِّ لِأَبْنِ سِينَا

تُومَاسَ سُوذْهُوفَ

تَرْجَمَةُ آدِيتِ عِيدِ

يُقَدِّمُ هَذَا الْكِتَابُ «أَبْنِ سِينَا فِي الطَّبِّ» بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْأَلْمَانِيَّةِ،
مَعَ شَرْحِ ابْنِ رُشْدٍ، وَتَعْلِيقاتِ أُخْرَى كَثِيرَةٍ، بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْأَلْمَانِيَّةِ
وَالْإِنْجِلِيزِيَّةِ وَالْفَرَنْسِيَّةِ. وَقَدْ يَتَسَاعَلُ الْبَعْضُ: وَهَلْ نَحْنُ بِحَاجَةٍ، فِي
عَصْرِنَا هَذَا بِمَالِدَيْنَا مِنْ كَيْمِ هَائِلٍ مِنَ الْمَعْدُومَاتِ وَالتَّفَاصِيلِ الدَّقِيقَةِ، إِلَى
طَبْعَةِ جَدِيدَةٍ لِنَصِّ طَبِيِّ قَلْبِي عُمُرُهُ أَلْفٌ مِنَ السِّنِينَ؟

الإِجَابَةُ هُنَا بِنَعَم. بَلْ نَحْنُ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى ذَلِكَ. وَأَوْدُ اسْتِعْرَاضَ
سَبَبِ هَذَا بِإِيجَازٍ فِي السُّطُورِ التَّالِيَةِ:

نَحْنُ نَحْيَا فِي عَصْرِ مُضْطَرَبٍ. مُضْطَرَبٌ لِيُوجِدَ صِرَاعَاتٍ كَثِيرَةً
بَيْنَ الْبُلْدَانِ وَالْأَدْيَانِ وَالثَّقَافَاتِ. وَلَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ، بَلْ هُوَ مُضْطَرَبٌ
أَيْضًا لِذُنَا نُوَاجِهَةً دَقُوقًا مُسْتَمِرًّا لِلْمَعْدُومَاتِ، وَنَجْدًا نَفْسَانَا مُطَالِبِينَ يَوْمِيًّا
تَقْرِيْبًا، وَأَحْيَانًا كُلِّ سَاعَةٍ، بِالتَّحْرُكِ وَالرَّدِّ عَلَى اسْتِفْسَارِ مَا، أَوْ طَلَبِ
مُعَيِّنٍ.

وَلِهَذَا السَّبَبِ الْذَاتِ - مِنْ وَجْهَةِ نَظْرِي - فَنَحْنُ نُحْسِنُ عَمَلًا عِنْدَمَا
نُفَكِّرُ فِي التَّارِيخِ، فَنَعُودُ حُطُوعًا إِلَى الْوَرَاءِ، لِئَنَّا مَلَّ فِيْمَا هُوَ مُهِمٌّ، وَفِيْمَا
يَجْمَعُنَا كَبَشْرٍ.

إِنَّ «أَرْجُوزَةَ ابْنِ سِينَا فِي الطَّبِّ» هِيَ فُرْصَةٌ مُنَاسِبَةٌ لِنَفْعَلِ ذَلِكَ:
لِنَتَفَكَّرَ فِي الْمَاضِي، وَنَتَعَبَّرَ مِنَ التَّارِيخِ فَبِإِعْتِبَارِهَا مَكْتُوبَةٌ فِي عَصْرِ
سَامِحٍ فِيهِ الْإِسْلَامُ سَائِرَ الدِّيَانَاتِ الْأُخْرَى، وَأُعِجِبَ بِالْحَضَارَاتِ
الْأَجْنِبِيَّةِ، وَقَدَّرَ الْبَحْثَ الْعِلْمِيَّ بِإِعْتِبَارِهِ طَلَبًا لِلْعِلْمِ، فَلَا تَزَالُ «أَرْجُوزَةُ
ابْنِ سِينَا فِي الطَّبِّ» تُمَثِّلُ لَنَا دَرْسًا وَمَوْعِظَةً.

وَفِي مُقَابِلِ ذَلِكَ كَثِيرًا مَا كَانَتْ الْمَسِيحِيَّةُ - فِي مَطْلَعِ الْأَلْفِ الثَّانِي
لِلْمِيلَادِ - غَيْرَ مُتْسَامِحَةٍ، وَمُزْدَرِيَّةٌ لِقَافَاتِ الْأُخْرَى. وَبَعْدَ مِئَةِ سَنَةٍ فَقَطْ
بَدَأَتْ الْحُرُوبُ الصَّلِيبِيَّةُ الَّتِي أَضَعَفَتْ الْحَضَارَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْمُتْسَامِحَةَ
أُنْذَاكَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ! فَمَا أَكْثَرَ مَا تَغَيَّرَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا بَقِيَ كَمَا هُوَ، مُنْذُ
ذَلِكَ الْحِينِ.

وَمِمَّا مَيَّزَتْكَ الْعُصُورَ أَنَّنَا مَا زَلْنَا - فِيمَا يَبْدُو - لَا نَعْرِفُ بِوُضُوحٍ إِنْ
كَانَ ابْنُ سِينَا سُيِّيًّا أَوْ شَيْعِيًّا، وَهُوَ مَا لَمْ يَكُنْ مَقْيَاسًا لِلْأُمُورِ فِي عَصْرِهِ
فِيمَا يَبْدُو. فِي حِينِ أَنَّ هَذَا التَّهْرِيقَ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ يَسُودُ الْيَوْمَ الْكَثِيرَ
مِنْ دَوْلِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

إِنَّ «أَرْجُوزَةَ ابْنِ سِينَا فِي الطَّبِّ» بِالتَّسْبِطِ لِي كَعَالِمٍ، هِيَ شَهَادَةٌ
مُشْرِقَةٌ عَلَى أَنَّ الدِّينَ وَالْعَقْلَانِيَّةَ يُمَكِّنُ جِدًّا أَنْ يَجْتَمَعَ ابْدُونُ أَيِّ تَنَاقُضٍ.
وَهِيَ قَنَاعَةٌ أَرَى أَنَّهَا تُوَاجِهُ خَطْرًا فِي الْوَقْتِ الْحَالِي، لَيْسَ فِي دَوْلِ
إِسْلَامِيَّةٍ كَثِيرَةٍ فَحَسْبُ، بَلْ أَيْضًا فِي كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ الْغَرْبِيَّةِ. وَلِهَذَا
السَّبَبِ أَيْضًا يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَسْتَحْضِرَ الْمَاضِي، وَنَتَأَمَّلَهُ، وَنَسْأَلَهُمْ مِنْهُ
حُطًّا وَلَا لِعَصْرِنَا. وَلِذَلِكَ أَيْضًا تُعْتَبَرُ «أَرْجُوزَةُ ابْنِ سِينَا فِي الطَّبِّ» دَرْسًا

وَمَوْعِظَةً.

إِنَّنَا نَقِفُ الْيَوْمَ مَذْهُولِينَ أَمَامَ مُنْجَرَاتِ الْعُلَمَاءِ الْفُرْسِ وَالْعَرَبِ فِي عَصْرِ أَرْدِهَارِ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ أُورْجُوزَةِ ابْنِ سِينَا فِي الطَّبِّ «أَنَّ تَكُونَ مُقَدِّمَةً مُبَسَّطَةً فِي الطَّبِّ. لَكِنَّهَا فِي الْوَاقِعِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ؛ لِأَنَّهَا تُعْتَبَرُ أَيْضًا مُقَدِّمَةً فِي الْفِكْرِ الْعَقْلَانِيِّ الْوَاضِحِ.

بِهَذَا الْمَعْنَى فَإِنِّي أَرَى أَنَّ هَذِهِ الْأَرْجُوزَةَ يَنْبَغِي أَيْضًا أَنْ تُقْرَأَ الْيَوْمَ. وَإِنِّي لِأَمَلُ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِي أَنْ تَجِدَ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الْقُرَّاءِ. فَهَذَا الْعَمَلُ يَسْتَحِقُّ الْإِهْتِمَامَ فِعْلًا.

توماس س. سود هوف

ستائفورْد، سبتمبر ٢٠١٧م